السيطرة على الطبيعة، فإنه يخطو بذلك أول خطوة فى طريق الألوهية، طريق إدراك المعرفة الكلية إنه طريق البسطاء، الذين هم بالفطرة قريبون من الله.

إن من وجود الحياة والروح، تنشأ المعرفة التى تميل بالإنسان إلى طريق الله، أو إلى طريق إدانته وهلاكه، فإذا تحولت المعرفة التلقائية إلى ذكاء، فإن الإنسان يبدو وكأنه يبعد عن الله، ويكتشف بذلك طريقه ومجاله، مع كل ما يحمله هذا الاكتشاف من مخاطر، ذلك لأن الإنسان القادر على التفكر بمفرده، يعتقد أنه أصبح حراً، بل صار إلها، وهو ما تقصه علينا بعض الأساطير..

الذكاء الإنسانى، له تأثير مباشر على الوظائف الحيوية لوجوده على الأرض، عندها يبدأ الصراع الذى يؤدى إلى قيام الحروب، بكل ما تفرزه من قسوة وفظاظة، فإذا كان الذكاء الإنسانى تحت إمرة الطبيعة، نتج عن ذلك ما نسميه بالقوة الباردة الخالية من الروح والإدراك، أما إذا خضعت الطبيعة لأهواء الذكاء الإنسانى، فإنها تتحول إلى آلة عظيمة، تعرقل بسحرها وفتنتها المتعلم، الذى يريد أن يبدأ طريق التطور.

أما إذا أفاق الإنسان، وتنبه لطريق الروح الأعظم، فإنه يستطيع أن يوجد التوافق والتوازن بينه وبين الطبيعة، الأمر يتعلق إذن بالاتحاد بينه وبين الطبيعة، لا الخضوع لها، ولا السيطرة عليها، إنما إيجاد نوع من العمل المشترك..

أما إذا سخر الإنسان ذكاءه لخدمة الروح، فإن البعض منهم يقوده ذلك إلى إهمال حياته الأرضية، ورفض الطبيعة، التى هى مظهر من مظاهر الله، إلا أن ذلك يعتبر سلوكا نادرا، لا يمكنه فرضه على أحد، إنما هو إحساس ينبع من داخل الإنسان..

ونحن نقول فى هذا الشأن: إن الرقى إلى المستويات العليا يحتاج إلى الإنسان القوى، القادر على بناء نفسه بناء صلبا، الذى يحقق التوافق بينه وبين نفسه ومن حوله، الإنسان المتحرر من عبوديته للطبيعة، ذلك هو ما نسميه بحق "الإنسان الكامل".

ويتبقى تسخير الإنسان بذكائه للروح، وهو عالم السحر، والعلوم الخفية،